صَاحَتْ هايدي: «جَدِّي! جَدِّي! تَعَالَ، تَعَالَ! إِنَّهُمْ قَادِمُونَ! إِنَّهُمْ قَادِمُونَ وَالطَّبِيبُ أَمَامَهُمْ!»

انْدَفَعَتْ هايدي إِلَى الْأَمَامِ لِتَحِيَّةِ صَدِيقِهَا الْقَدِيمِ. مَدَّ الطَّبِيبُ يَدَيْهِ لِتَحِيَّتِهَا، وَعِنْدَمَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ، تَعَلَّقَتْ بِذِرَاعَيْهِ الْمَمْدُودَتَيْنِ. كَانَتِ الْفَرْحَةُ تَمْلَأُ قَلْبَهَا وَهِيَ تَقُولُ: «صَبَاحُ الْخَيْرِ يَا دكتور، وَشُكْرًا جَزِيلًا لَكَ.»

سَأَلَ الطَّبِيبُ مُبْتَسِمًا: «فَلْيُبَارِكْكِ اللهُ يَا صَغِيرَةُ! عَلَامَ تَشْكُرِينَنِي؟»

وَضَّحَتِ الطِّفْلَةُ: «لِإِرْسَالِي إِلَى الْمَنْزِلِ لِجَدِّي.»

أَشْرَقَ وَجْهُ الطَّبِيبِ وَكَأَنَّمَا تَخَلَّلَهُ شُعَاعٌ مِنَ الشَّمْسِ. لَقَدْ ظَنَّ أَنَّ الطِّفْلَةَ الصَّغِيرَةَ سَتَكُونُ قَدْ نَسِيَتْهُ بِمُرُورِ هَذَا الْوَقْتِ. وَلَكِنْ عِوَضًا عَنْ ذَلِكَ كَانَتْ عَيْنَاهَا تَرْقُصَانِ مِنَ الْفَرْحَةِ. وَكَانَتْ مُمْتَنَّةً أَيَّمَا امْتِنَانٍ وَمُتَعَلِّقَةً بِذِرَاعِ صَدِيقِهَا الْقَدِيمِ.

قَالَ الرَّجُلُ الْكَبِيرُ: «خُذِينِي إِلَى جَدِّكِ يَا صَغِيرَةُ.»

– «وَلَكِنْ أَيْنَ كلارا وَجَدَّتِي؟»

– «أَنَا آسِفٌ جِدًّا يَا هايدي، وَلَكِنِّي أَتَيْتُ وَحْدِي. كلارا كَانَتْ مَرِيضَةً جِدًّا وَلَمْ تَتَمَكَّنْ مِنَ السَّفَرِ، وَبَقِيَتِ الْجَدَّةُ مَعَهَا لِتَرْعَاهَا. وَلَكِنَّهُمَا سَتَأْتِيَانِ فِي الرَّبِيعِ الْقَادِمِ عِنْدَمَا يَكُونُ النَّهَارُ دَافِئًا وَطَوِيلًا مُجَدَّدًا.»

وَقَفَتْ هايدي سَاكِنَةً لِثَانِيَةٍ، لِتَسْمَحَ لِعَقْلِهَا بِاسْتِيعَابِ تِلْكَ الْأَنْبَاءِ الْحَزِينَةِ. ثُمَّ قَالَتْ: «تَعَالَ مَعِي يَا دكتور، لِنَجِدَ جَدِّي.»

أَصْبَحَ الرَّجُلَانِ أَصْدِقَاءَ عَلَى الْفَوْرِ. كَانَا يَتَشَارَكَانِ الْيَوْمَ عَلَى الْجَبَلِ، يُخَطِّطَانِ لِعُطْلَةِ الطَّبِيبِ فِي الْأَسَابِيعِ الْعَدِيدَةِ الْقَادِمَةِ. وَبَيْنَمَا كَانَا يَجْلِسَانِ لِلْغَدَاءِ الْمُكَوَّنِ مِنَ الْحَلِيبِ وَالْجُبْنِ الْمُحَمَّصِ، رَأَيَا رَجُلًا آتِيًا مِنَ الطَّرِيقِ حَامِلًا لَفَّةً كَبِيرَةً عَلَى ظَهْرِهِ.

قَالَ الطَّبِيبُ وَهُوَ يَبْتَسِمُ لِهايدي: «آه، هَا قَدْ جَاءَ الطَّرْدُ الَّذِي أَرْسَلَتْهُ كلارا.»

لَمَعَتْ عَيْنَا الْفَتَاةِ.

قَالَ الطَّبِيبُ: «افْتَحِي كُنُوزَكِ يَا هايدي.» وَدَفَعَ الطَّرْدَ نَحْوَهَا.

وَاحِدَةً تِلْوَ الْأُخْرَى أَخْرَجَتْ هايدي الْأَشْيَاءَ الَّتِي حَزَمَتْهَا كلارا بِحِرْصٍ. كَعْكٌ وَشَالٌ لِلْجَدَّةِ، وَبَعْضُ الْأَدَوَاتِ الْجَدِيدَةِ لِلْجَدِّ، وَنَقَانِقُ لِبيتر، وَمَلَابِسُ لَهَا. الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي

أَسْعَدَ هايدي أَكْثَرَ مِنَ الْهَدَايَا كَانَ رُؤْيَةُ السَّعَادَةِ عَلَى وَجْهِ الطَّبِيبِ. كَانَ حَقًّا مُسْتَمْتِعًا بِرُؤْيَةِ هايدي بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ وَسَعِيدَةً مُجَدَّدًا.

الفصل السادس عشر

بَيْتٌ آخَرُ جَدِيدٌ

كَانَتْ إِقَامَةُ الطَّبِيبِ مُمْتِعَةً بِالنِّسْبَةِ لِلْجَمِيعِ. اسْتَمْتَعَ الْجَدُّ بِصُحْبَةِ رَجُلٍ كَبِيرٍ يَتَشَارَكُ مَعَهُ الْقَصَصَ وَيَقْضِي مَعَهُ الْوَقْتَ. وَفَرِحَتْ هايدي بِعَرْضِ كُلِّ رُكْنٍ فِي الْجَبَلِ عَلَى صَدِيقِهَا، فَقَدْ حَصَلَتْ أَخِيرًا عَلَى الْفُرْصَةِ لِإِثْبَاتِ الْجَمَالِ الَّذِي كَانَتْ فِي وَقْتٍ سَابِقٍ لَا تَمْلِكُ إِلَّا التَّحَدُّثَ عَنْهُ. وَالطَّبِيبُ ... اسْتَمْتَعَ بِالْقُرْبِ مِنْ أَصْدِقَاءَ طَيِّبِينَ وَبِالْهَوَاءِ النَّقِيِّ وَحُرِّيَّةِ الْجَبَلِ. كَمَا أَنَّ الِابْتِعَادَ عَنِ الْمَدِينَةِ أَعْطَاهُ الْفُرْصَةَ لِنِسْيَانِ مَشَاكِلِهِ وَالِاسْتِمْتَاعِ بِالْحَيَاةِ مُجَدَّدًا.

لِذَلِكَ كَانَ يَوْمُ رَحِيلِهِ فِي النِّهَايَةِ يَوْمًا حَزِينًا. تَأَلَّمَ قَلْبُ هايدي كَثِيرًا حَتَّى إِنَّهَا بَكَتْ وَطَلَبَتْ أَنْ تُرَافِقَهُ.

قَالَ الطَّبِيبُ بِلُطْفٍ: «لَا، لَا يَا طِفْلَتِي الْعَزِيزَةَ. يَجِبُ أَنْ تَبْقَيْ وَإِلَّا سَتَمْرَضِينَ مُجَدَّدًا. وَلَكِنْ إِذَا احْتَجْتُ يَوْمًا لِأَحَدٍ يَرْعَانِي، فَسَتَكُونِينَ أَوَّلَ شَخْصٍ أَتَّصِلُ بِهِ. هَلْ يُمْكِنُنِي فِعْلُ ذَلِك؟»

أَجَابَتْ هايدي: «نَعَمْ، سَآتِي فِي أَوَّلِ يَوْمٍ تُرْسِلُ فِي طَلَبِي. فَأَنَا أُحِبُّكَ مِثْلَمَا أُحِبُّ جَدِّي تَقْرِيبًا.»

وَهَكَذَا لَوَّحَ الطَّبِيبُ مُوَدِّعًا إِيَّاهُمْ وَشَرَعَ فِي طَرِيقِهِ. رَاقَبَتْهُ هايدي حَتَّى أَصْبَحَ نُقْطَةً صَغِيرَةً عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ. وَعِنْدَمَا اسْتَدَارَ الطَّبِيبُ لِيَرَى هايدي وَالْجَبَلَ الْمُشْمِسَ مَرَّةً أَخِيرَةً، قَالَ لِنَفْسِهِ: «مِنَ الْجَيِّدِ الْوُجُودُ فِي الْأَعْلَى هُنَاكَ ... جَيِّدٌ لِلْجِسْمِ وَلِلرُّوحِ. يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفَ يُصْبِحُ سَعِيدًا مَرَّةً أُخْرَى هُنَا.»

بَدَا أَنَّ بَاقِيَ الْخَرِيفِ يَمْضِي بَطِيئًا بِالنِّسْبَةِ لِهايدي، لِأَنَّهَا افْتَقَدَتْ صُحْبَةَ صَدِيقِهَا. وَلَكِنْ أَخِيرًا جَاءَ الثَّلْجُ الْجَدِيدُ إِلَى الْجَبَلِ. حَافَظَ الْجَدُّ عَلَى كَلِمَتِهِ وَنَقَلَ هايدي وَالْمَعْزَ إِلَى دورفلي. كَانَ ثَمَّةَ بِنَاءٌ قَدِيمٌ مَهْجُورٌ لِأَعْوَامٍ بِالْقُرْبِ مِنَ الْكَنِيسَةِ، فَعَمِلَ الْجَدُّ طَوَالَ شُهُورَ الْخَرِيفِ لِجَعْلِهِ سَلِيمًا وَمُتَمَاسِكًا.

كَانَتْ هايدي مُبْتَهِجَةً بِمَنْزِلِهَا الْجَدِيدِ. كَانَ الْعَيْشُ فِي دورفلي يَعْنِي أَنَّهَا سَتَتَمَكَّنُ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ كُلَّ صَبَاحٍ وَبَعْدَ الظُّهْرِ. وَعَمِلَتْ جَاهِدَةً فِي الْمَدْرَسَةِ وَتَعَلَّمَتْ بِشَغَفٍ كُلَّ مَا دُرِّسَ لَهَا. كَانَتْ بِالْكَادِ تَرَى بيتر هُنَاكَ. قَالَ إِنَّ الثَّلْجَ كَثِيفٌ جِدًّا فِي الْجَبَلِ وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ. وَلَكِنَّهُ كَانَ دَائِمًا يَجِدُ طَرِيقَةً لِيَتَخَطَّى الثَّلْجَ لِيَزُورَ هايدي بَعْدَ انْتِهَاءِ الْمَدْرَسَةِ.

كَانَتْ هايدي تُحِبُّ رُؤْيَةَ بيتر كُلَّ لَيْلَةٍ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ جَعَلَهَا تَشْتَاقُ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ لِلْجَدَّةِ. كُلَّ مَرَّةٍ تَطْلُبُ فِيهَا الذَّهَابَ لِلزِّيَارَةِ، يُخْبِرُهَا الْجَدُّ أَنَّ الثَّلْجَ كَثِيفٌ جِدًّا. وَلَمْ تَتَمَكَّنْ هايدي مِنْ زِيَارَةِ السَّيِّدَةِ الْعَجُوزِ إِلَّا بَعْدَ مُرُورِ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الشِّتَاءِ وَظُهُورِ الشَّمْسِ مُجَدَّدًا.

تَفَاجَأَتْ هايدي لِرُؤْيَتِهَا فِي الْفِرَاشِ وَلَيْسَ فِي رُكْنِهَا الْمُعْتَادِ مِنَ الْمَنْزِلِ.

سَأَلَتْ هايدي بِسُرْعَةٍ: «هَلْ أَنْتِ مَرِيضَةٌ يَا جَدَّتِي؟»

أَجَابَتِ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ: «لَا، لَا يَا صَغِيرَةُ. إِنَّ الْبَرْدَ يُؤَثِّرُ عَلَيَّ فَقَطْ.»

– «إِذَنْ سَتَتَحَسَّنِينَ عِنْدَمَا يُصْبِحُ الْجَوُّ دَافِئًا مَرَّةً أُخْرَى؟»

قَالَتِ الْجَدَّةُ: «أَجَلْ. أُرِيدُ أَنْ أَعُودَ إِلَى الْغَزْلِ.»

قَرَأَتْ هايدي لِلسَّيِّدَةِ الْعَجُوزِ حَتَّى هُبُوطِ الظَّلَامِ. وَكَانَتْ تَرَى بِالْفِعْلِ الْهُدُوءَ وَالسَّكِينَةَ تَعْتَرِيَانِ وَجْهَ السَّيِّدَةِ الْعَجُوزِ بَيْنَمَا تَسْتَمِعُ إِلَى كَلِمَاتِ تَرَانِيمِهَا. كَمْ كَانَتِ الْآيَاتُ تُطَمْئِنُهَا! وَمَعَ ذَلِكَ، بَدَا أَنَّ وَقْتًا طَوِيلًا لَمْ يَمْضِ حَتَّى تَوَجَّبَ عَلَى بيتر أَنْ يَضَعَ الْفَتَاةَ عَلَى ظَهْرِ مِزْلَجَتِهِ لِتَعُودَ إِلَى مَنْزِلِهَا. انْدَفَعَ الِاثْنَانِ عَلَى جَانِبِ الْجَبَلِ كَعُصْفُورَيْنِ يُحَلِّقَانِ فِي الْهَوَاءِ.

عِنْدَمَا كَانَتْ هايدي مُسْتَلْقِيَةً فِي الْفِرَاشِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، خَطَرَتْ لَهَا فِكْرَةٌ كَادَتْ لَا تَتَحَمَّلُ الِانْتِظَارَ حَتَّى تَتَحَدَّثَ بِهَا مَعَ أَحَدٍ. وَلَكِنَّهَا لَمْ تُخْبِرْ بِهَا أَحَدًا إِلَّا عِنْدَمَا جَاءَ بيتر فِي الْيَوْمِ التَّالِي.

قَالَتْ لِصَدِيقِهَا: «يَجِبُ أَنْ تَتَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ يَا بيتر.»

قَالَ: «أَسْتَطِيعُ الْقِرَاءَةَ.»

– «أَجَلْ، وَلَكِنِّي أَعْنِي الْقِرَاءَةَ الْحَقِيقِيَّةَ حَتَّى تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقْرَأَ لِلْجَدَّةِ. يَجِبُ أَنْ تَقْرَأَ لَهَا التَّرَانِيمَ.»

حَدَّقَتِ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ فِي عَيْنَيِ الصَّبِيِّ وَقَالَتْ: «سَأُعَلِّمُكَ.»

فَتَسَاءَلَ: «وَلَكِنْ لِمَاذَا؟ يُمْكِنُكِ قِرَاءَتُهَا لَهَا فِي زِيَارَاتِكِ.»

– «إِنَّهَا بِحَاجَةٍ لِسَمَاعِهَا كُلَّ يَوْمٍ يَا بيتر. إِنَّهَا تَجْعَلُهَا تَشْعُرُ بِتَحَسُّنٍ كَبِيرٍ. هَذِهِ هَدِيَّةٌ يُمْكِنُكَ أَنْ تُعْطِيَهَا لَهَا. لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَكُونَ مَوْجُودَةً بِجَانِبِهَا مِثْلَمَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ.»

نَكَّسَ الصَّبِيُّ رَأْسَهُ وَكَأَنَّمَا يُفَكِّرُ فِي إِجَابَتِهِ.

قَالَ بيتر أَخِيرًا: «سَأَتَعَلَّمُ إِذَا اسْتَطَعْتِ تَعْلِيمِي.»

ارْتَسَمَتِ ابْتِسَامَةٌ عَلَى وَجْهِ هايدي، كَانَتْ تَعْلَمُ فِي قَلْبِهَا أَنَّهُ سَيُبْلِي بَلَاءً حَسَنًا.

الفصل السابع عشر

أَخْبَارٌ مِنْ أَصْدِقَاءَ بَعِيدِينَ

كَانَ شِتَاءً طَوِيلًا وَلَكِنْ أَخِيرًا جَاءَ شَهْرُ مَايُو. تَعَلَّمَ بيتر الْقِرَاءَةَ جَيِّدًا بِمُسَاعَدَةِ هايدي. وَصَارَتِ الْجَدَّةُ تَسْتَمْتِعُ بِسَمَاعِ تَرْنِيمَةٍ كُلَّ يَوْمٍ. شَعَرَ بيتر بِالرِّضَا عَنْ تَعَلُّمِهِ وَقَرَّرَ الذَّهَابَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ بِانْتِظَامٍ أَكْثَرَ. أَحْدَثَتْ هايدي فَرْقًا لِكُلٍّ مِنَ الْجَدَّةِ وَبيتر.

أَحْدَثَ نُورُ الشَّمْسِ فَرْقًا كَبِيرًا أَيْضًا. عِنْدَمَا ظَهَرَتْ أُولَى عَلَامَاتِ الرَّبِيعِ، انْتَقَلَ الْجَدُّ وَهايدي إِلَى الْجَبَلِ مَرَّةً أُخْرَى. بَدَأَتِ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ وَجَدُّهَا الِاسْتِعْدَادَ لِزُوَّارِ الرَّبِيعِ مِنْ فَوْرِهِمَا. لَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَوِيلٌ حَتَّى جَاءَ خِطَابُ كلارا.

كَانَتِ الزِّيَارَةُ تَبْعُدُ عَلَى الْأَقَلِّ سِتَّةَ أَسَابِيعَ، وَلَكِنَّ الزُّوَّارَ كَانُوا قَادِمِينَ! لَمْ تُطِقِ الْجَدَّةُ وَكلارا الِانْتِظَارَ.

مَرَّ الْوَقْتُ حَتَّى مَوْعِدِ زِيَارَةِ كلارا بِبُطْءٍ وَلَكِنَّهُ مَرَّ أَخِيرًا. ثُمَّ جَاءَ الْيَوْمُ عِنْدَمَا شُوهِدَ مَوْكِبٌ غَرِيبُ الشَّكْلِ يَشُقُّ طَرِيقَهُ صُعُودًا لِلْجَبَلِ. فِي الْأَمَامِ كَانَ رَجُلَانِ يَحْمِلَانِ كُرْسِيًّا. وَجَلَسَتْ فَتَاةٌ مَلْفُوفَةٌ بِالشِّيلَانِ عَلَى الْكُرْسِيِّ. وَخَلْفَهَا كَانَتِ امْرَأَةٌ تَمْتَطِي حِصَانًا مَعَ دَلِيلٍ يَمْشِي بِجَانِبِهَا. بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ ثَمَّةَ مَقْعَدٌ يَدْفَعُهُ رَجُلٌ آخَرُ. وَأَخِيرًا كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَحْمِلُ لَفَّةً كَبِيرَةً مِنَ الشِّيلَانِ وَالْفَرْوِ حَتَّى إِنَّهَا كَانَتْ تَعْلُو رَأْسَهُ.

صَرَخَتْ هايدي: «هَا قَدْ جَاءُوا! هَا قَدْ جَاءُوا!» كَانَتْ تَقْفِزُ مِنَ الْفَرْحَةِ. فَقَدْ كَانُوا بِالْفِعْلِ الضُّيُوفَ مِنْ فرانكفورت.

وَصَلَتْ كلارا وَالْجَدَّةُ أَخِيرًا إِلَى الْكُوخِ وَتَعَرَّفَا إِلَى الْجَدِّ. بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ تَصَرَّفَ الْأَرْبَعَةُ كَأَصْدِقَاءَ قُدَامَى. وَبَيْنَمَا كَانَتِ الْجَدَّةُ وَالْجَدُّ يُجَهِّزَانِ الْحَلِيبَ وَالْجُبْنَ الْمُحَمَّصَ

لِوَجْبَتِهِمْ، كَانَتْ هايدي تَدْفَعُ كُرْسِيَّ كلارا إِلَى كُلِّ بُقْعَةٍ وَصَفَتْهَا لَهَا مِنْ قَبْلُ. وَأَخِيرًا جَلَسَتِ الْمَجْمُوعَةُ لِلْغَدَاءِ.

سَأَلَتِ الْجَدَّةُ فِي دَهْشَةٍ: «هَلْ أَرَاكِ حَقًّا تَأْخُذِينَ قِطْعَةً أُخْرَى مِنَ الْجُبْنِ الْمُحَمَّصِ يَا كلارا؟»

– «أُوه، إِنَّ مَذَاقَهَ رَائِعٌ حَقًّا يَا جَدَّتِي، أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ الْأَطْبَاقِ الَّتِي نَتَنَاوَلُهَا فِي الْمَنْزِلِ.»

قَالَ الْجَدُّ: «إِنَّهُ هَوَاءُ الْجَبَلِ! يَبْدُو كُلُّ شَيْءٍ أَفْضَلَ هُنَا.»

بَعْدَ الْوَجْبَةِ، أَرَتْهُمَا هايدي الْكُوخَ مِنَ الدَّاخِلِ. وَادَّخَرَتْ غُرْفَتَهَا لِلْآخِرِ.

قَالَتِ الْجَدَّةُ: «إِنَّ الْمَكَانَ مُبْهِجٌ جِدًّا هُنَا يَا هايدي! فَيُمْكِنُكِ النَّظَرُ مُبَاشَرَةً إِلَى السَّمَاءِ مِنْ فِرَاشِكِ. وَتَسْمَعِينَ حَفِيفَ أَشْجَارِ التَّنُّوبِ فِي الْخَارِجِ، وَتَشُمِّينَ رَائِحَةً طَيِّبَةً جِدًّا حَوْلَكِ. لَمْ أَرَ أَبَدًا غُرْفَةَ نَوْمٍ جَمِيلَةً وَمُبْهِجَةً كَهَذِهِ.»

قَالَ الْجَدُّ: «لَقَدْ كُنْتُ أُفَكِّرُ، إِذَا كُنْتِ رَاغِبَةً، يُمْكِنُ لِكلارا أَنْ تَبْقَى فِي الْأَعْلَى هُنَا. أَنَا مُتَأَكِّدٌ أَنَّهَا سَتُصْبِحُ أَقْوَى وَسَنَعْتَنِي بِهَا جَيِّدًا.»

– «أَنْتَ طَيِّبٌ جِدًّا. أَشْكُرُكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِي.» أَخَذَتِ الْجَدَّةُ يَدَهُ وَصَافَحَتْهُ مُصَافَحَةً طَوِيلَةً مُمْتَنَّةً.

فِي نِصْفِ السَّاعَةِ التَّالِيَةِ كَانَتِ الْإِثَارَةُ تَعُمُّ الْمَكَانَ. عَمِلَتِ الْجَدَّةُ وَالْجَدُّ عَلَى تَجْهِيزِ كُلِّ شَيْءٍ. صَنَعَتِ الشِّيلَانُ وَالْبَطَاطِينُ الَّتِي أَحْضَرَهَا الزُّوَّارُ مَعَهُمْ غِطَاءً مِثَالِيًّا لِفِرَاشِ كلارا الْمَصْنُوعِ مِنَ التِّبْنِ. وَكَانَتْ كلارا وَهايدي مُتَحَمِّسَتَيْنِ جِدًّا لِدَرَجَةِ أَنَّهُمَا لَمْ تَسْتَطِيعَا الْحَدِيثَ. ضَحِكَتَا وَرَاقَبَتَا الْجَدَّيْنِ وَهُمَا يَعْمَلَانِ بِعِنَايَةٍ شَدِيدَةٍ لِتَهْيِئَةِ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى نَحْوٍ مُرْضٍ. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ كَانَتِ الْجَدَّةُ عَلَى حِصَانِهَا. لَوَّحَتْ مُوَدِّعَةً الْفَتَاتَيْنِ وَوَعَدَتْ بِرُؤْيَتِهِمَا قَرِيبًا.

هَذِهِ اللَّيْلَةَ بَيْنَمَا كَانَتْ كلارا مُسْتَلْقِيَةً فِي مَخْزَنِ التِّبْنِ، نَظَرَتْ عَبْرَ النَّافِذَةِ الْمُسْتَدِيرَةِ إِلَى النُّجُومِ اللَّامِعَةِ.

– «هايدي، يَبْدُو الْأَمْرُ بِالضَّبْطِ وَكَأَنَّنَا فِي عَرَبَةٍ عَالِيَةٍ وَنُوشِكُ عَلَى السَّيْرِ مُبَاشَرَةً نَحْوَ السَّمَاءِ.»

أَجَابَتْ هايدي: «النُّجُومُ تَلْمَعُ لِأَنَّهَا تَعِيشُ فَوْقًا فِي السَّمَاءِ وَسَعِيدَةٌ، ثُمَّ تُومِئُ لَنَا لِأَنَّهَا تُرِيدُ لَنَا السَّعَادَةَ أَيْضًا. أَتَعْلَمِينَ؟ إِنَّ اللهَ يُصْلِحُ كُلَّ شَيْءٍ بِحَيْثُ لَا يَكُونُ ثَمَّةَ دَاعٍ لِلْقَلَقِ. فَكُلُّ شَيْءٍ سَيَكُونُ عَلَى مَا يُرَامُ فِي النِّهَايَةِ.»

جَلَسَتِ الْفَتَاتَانِ، وَتَلَتَا صَلَوَاتِهِمَا ثُمَّ وَضَعَتَا رَأْسَيْهِمَا عَلَى الْفِرَاشِ طَلَبًا لِلرَّاحَةِ. رَقَدَتْ كلارا مُسْتَيْقِظَةً لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، غَيْرَ مُصَدِّقَةٍ رَوْعَةَ هَذَا الْيَوْمِ. وَشَكَرَتِ اللهَ مِرَارًا لِجَعْلِ هَذَا الْيَوْمِ بِهَذَا الْجَمَالِ.

الفصل الثامن عشر

الْحَياةُ فِي مَنْزِلِ الْجَدِّ

فِي الْأَسَابِيعِ الثَّلَاثَةِ التَّالِيَةِ، كَانَتِ الْحَيَاةُ فَوْقَ الْجَبَلِ مُفْعَمَةً بِالْحَمَاسِ. تَشَارَكَتْ هايدي مَعَ كلارا كُلَّ شَيْءٍ.

قَالَتْ هايدي فِي صَباحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ وَهُمَا تَسْتَلْقِيَانِ وَشُعَاعُ الشَّمْسِ الدَّافِئُ يَلْمِسُ أَيْدَيهُمَا وَأَرْجُلَهُمَا: «الْآنَ تَرَيْنَ أَنَّ الْحَيَاةَ هُنَا بِالضَّبْطِ كَمَا وَصَفْتُهَا لَكُمْ. أَجْمَلُ شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ أَنْ أَكُونَ هُنَا فِي الْأَعْلَى مَعَ جَدِّي.»

هَتَفَتْ كلارا بِسَعَادَةٍ: «أُوه يَا هايدي. لَوْ أَنِّي أَسْتَطِيعُ الْبَقَاءَ هُنَا فِي الْأَعْلَى مَعَكِ لِلْأَبَدِ!»

بَيْنَمَا تَلْعَبُ الْفَتَاتَانِ، قَامَ الْجَدُّ بِدَوْرِهِ لِلتَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّ الزَّائِرَةَ تَتَلَقَّى عِنَايَةً جَيِّدَةً. بِمَا أَنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ مَا لَدَيْهِمْ، أَعْطَاهَا فَقَطْ لَبَنَ الْبَجَعَةِ الصَّغِيرَةِ لِتَشْرَبَهُ. كما حَرَصَ عَلَى أَنْ تَحْصُلَ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الطَّعَامِ وَالْهَوَاءِ النَّقِيِّ، كَمَا عَمِلَ عَلَى سَاقَيْهَا. كَانَ يَأْمُلُ أَنْ تَخْطُوَ يَوْمًا مَا.

سَأَلَ الْجَدُّ: «أَلَنْ تُحَاوِلَ الِابْنَةُ الصَّغِيرَةُ أَنْ تَقِفَ لِدَقِيقَةٍ أَوِ اثْنَتَيْنِ؟» قَامَتْ كلارا بِالْمُحَاوَلَةِ لِإِرْضَائِهِ، وَلَكِنَّهَا تَمَسَّكَتْ بِهِ حَالَمَا لَمَسَتْ قَدَمَاهَا الْأَرْضَ. قَالَتْ إِنَّ الْأَمْرَ يُؤْلِمُهَا كَثِيرًا.

كَانَتِ الْبَهْجَةُ وَرُوحُ الْمُغَامَرَةِ تَغْمُرَانِ الْفَتَاتَيْنِ كُلَّ صَبَاحٍ. وَلَمْ يَمُرَّ وَقْتٌ طَوِيلٌ حَتَّى تَوَسَّلَتْ هايدي لِلْجَدِّ لِكَيْ يَأْخُذَهُمَا إِلَى الْخَارِجِ مَعَ الْمَعْزِ. وَأَخِيرًا وَافَقَ الْجَدُّ. وَفِي صَبَاحٍ مُشْرِقٍ جَمِيلٍ دَفَعَ كُرْسِيَّ كلارا خَارِجَ الْكُوخِ. ثُمَّ دَخَلَ لِيُنَادِيَ الْفَتَاتَيْنِ وَيُخْبِرَهُمَا كَمْ هُوَ شُرُوقٌ جَمِيلٌ الَّذِي تُفَوِّتَانِهِ.

وَصَلَ بيتر فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ. لَمْ تَتَجَمَّعِ الْمَعْزُ حَوْلَهُ كَعَادَتِهَا. بَدَا وَكَأَنَّهَا أَصْبَحَتْ لَا تُحِبُّهُ فِي الْآوِنَةِ الْأَخِيرَةِ. لَقَدْ كَانَ غَاضِبًا وَأَنَانِيًّا مَعَهَا عَلَى مَدَارِ الْأَسَابِيعِ الْعَدِيدَةِ الْمَاضِيَةِ. وَلَمْ تَعْرِفِ الْمَعْزُ الْمِسْكِينَةُ أَنَّهَا لَيْسَتِ السَّبَبَ وَرَاءَ غَضَبِ بيتر، بَلْ كَانَتْ صَدِيقَةُ هايدي. فَبِسَبَبِ هَذِهِ الْفَتَاةِ الْمَشْلُولَةِ، امْتَنَعَتْ هايدي عَنِ الْخُرُوجِ مَعَ بيتر. لَقَدْ خَسِرَ صَدِيقَتَهُ. أَيَّامُهُ الْآنَ أَصْبَحَتْ طَوِيلَةً وَوَحِيدَةً، وَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ خَطَأَ كلارا.

عِنْدَمَا رَأَى بيتر كُرْسِيَّهَا يَقْبَعُ هُنَاكَ، نَظَرَ إِلَيْهِ بِسُخْطٍ وَكَأَنَّهُ الْعَدُوُّ. ثُمَّ نَظَرَ حَوْلَهُ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ صَوْتٌ فِي أَيِّ مَكَانٍ وَلَا أَحَدَ يَرَاهُ. قَفَزَ الصَّبِيُّ لِلْأَمَامِ كَحَيَوَانٍ مُتَوَحِّشٍ. أَمْسَكَ بِالْكُرْسِيِّ وَدَفَعَهُ بِغَضَبٍ فِي اتِّجَاهِ الْمُنْحَدَرِ، فَانْدَفَعَ الْكُرْسِيُّ بِسُرْعَةٍ لِلْأَمَامِ وَاخْتَفَى عَنِ الْأَنْظَارِ.

طَارَتْ قِطَعٌ مِنَ الْكُرْسِيِّ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ. وَشَعَرَ بيتر بِسَعَادَةٍ وَهُوَ يَرَاهُ يَتَحَطَّمُ حَتَّى إِنَّهُ صَفَّقَ بِيَدَيْهِ وَقَفَزَ فَوْقَ الشُّجَيْرَاتِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى أَعْلَى التَّلَّةِ. لَمْ يَكْتَرِثْ أَنَّهُ رُبَّمَا يَقَعُ فِي الْمَتَاعِبِ بِسَبَبِ أَفْعَالِهِ. كُلُّ مَا كَانَ يَعْرِفُهُ أَنَّ صَدِيقَةَ هايدي لَنْ تَتَمَكَّنَ مِنَ التَّحَرُّكِ. وَسَيَكُونُ عَلَيْهَا الْآنَ الْعَوْدَةُ إِلَى مَنْزِلِهَا. وَعِنْدَ رَحِيلِ كلارا، سَتَكُونُ هايدي وَحِيدَةً وَبِالتَّأْكِيدِ سَتَخْرُجُ مَعَهُ مُجَدَّدًا.

وَلَكِنْ حَتَّى دُونَ الْكُرْسِيِّ، صَعِدَ الْجَدُّ وَالْفَتَاتَانِ لِأَعْلَى الْجَبَلِ؛ إِذْ حَمَلَ الْجَدُّ كلارا وَقَفَزَتْ هايدي بِجَانِبِهِمْ بِفَرَحٍ.

وَجَدَتِ الْمَجْمُوعَةُ بيتر فِي أَعْلَى الْجَبَلِ مَعَ بَقِيَّةِ الْمَعْزِ.

سَأَلَ الْجَدُّ: «لِمَاذَا لَمْ تَتَوَقَّفْ لِتَأْخُذَ مَعْزِي؟»

أَجَابَ بيتر: «لَقَدْ فَعَلْتُ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ.» غَضِبَ الْجَدُّ وَسَأَلَهُ عَنِ الْكُرْسِيِّ، وَلَكِنَّ بيتر قَالَ إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا.

حَرَصَ الْجَدُّ عَلَى أَنْ تَجْلِسَ كلارا مُرْتَاحَةً عَلَى شَالٍ ثُمَّ غَادَرَ لِيَقُومَ بِبَعْضِ الْأَعْمَالِ فِي الْمَنْزِلِ. جَلَسَتْ هايدي وَكلارا وَسْطَ الْبِرْسِيمِ، تَسْتَمْتِعَانِ بِالطَّقْسِ وَالْجَمَالِ الْمُحِيطِ بِهِمَا.

مَرَّتْ بِضْعُ سَاعَاتٍ، وَبَدَأَتْ هايدي تُفَكِّرُ أَنَّهَا لَا يُمْكِنُهَا الْبَقَاءُ سَاكِنَةً لِلَحْظَةٍ أُخْرَى.

– «هَلْ سَتَعْتَقِدِينَ أَنِّي قَاسِيَةٌ يَا كلارا إِذَا تَرَكْتُكِ لِبِضْعِ دَقَائِقَ؟ أَوَدُّ أَنْ أَرَى كَيْفَ تَبْدُو الْأَزْهَارُ. أَوَدُّ أَنْ أَرْكُضَ لِهُنَاكَ وَأَعُودَ بِسُرْعَةٍ ...»

ابْتَسَمَتْ لَهَا كلارا بِالْمُوَافَقَةِ وَرَكَضَتْ هايدي مُسْرِعَةً. كَانَ حَقْلُ الْأَزْهَارِ أَكْثَرَ جَمَالًا مِمَّا تَتَذَكَّرُ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ. اللَّوْنُ الْأَزْرَقُ الْغَامِقُ، وَرَائِحَةُ الْجَنَّةِ، كَانَ كُلُّ شَيْءٍ رَائِعًا جِدًّا لِدَرَجَةٍ شَعَرَتْ مَعَهَا أَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ عَلَيْهَا أَلَّا تُشَارِكَهُ.

صَاحَتْ هايدي لِكلارا: «أُوه، يَجِبُ أَنْ تَأْتِي! سَأَحْمِلُكِ!»

تَنَهَّدَتِ الْفَتَاةُ الْأُخْرَى: «هايدي، فِيمَ تُفَكِّرِينَ؟ أَنْتِ أَصْغَرُ مِنِّي! لَوْ أَنِّي فَقَطْ أَسْتَطِيعُ السَّيْرَ!»

نَظَرَتْ هايدي حَوْلَهَا وَكَأَنَّهَا تَبْحَثُ عَنْ فِكْرَةٍ.

نَادَتْ: «بيتر! بيتر!»

جَاءَ الصَّبِيُّ خَائِفًا مِنْ أَنْ تَكُونَ صَدِيقَتُهُ الصَّغِيرَةُ قَدِ اكْتَشَفَتْ أَمْرَ الْكُرْسِيِّ، وَافَقَ عَلَى أَنْ يُسَاعِدَهَا فِي فِكْرَتِهَا.

بَدَأَتْ هايدي: «بيتر، ضَعْ يَدَكَ فِي شَكْلِ حَلْقَةٍ. الْآنَ، كلارا أَدْخِلِي ذِرَاعَكِ فِي ذِرَاعِهِ.» اسْتَمَرَّتْ هايدي فِي إِعْطَائِهِمَا التَّوْجِيهَاتِ. وَأَخِيرًا بَدَأَتِ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي كَانَتْ عَادَةً مَا تَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيٍّ مُتَحَرِّكٍ تَمْشِي.

– «يُمْكِنُكِ السَّيْرُ الْآنَ يَا كلارا، يُمْكِنُكِ السَّيْرُ!»

كَانَتِ الْفَتَاتَانِ مُتَحَمِّسَتَيْنِ بِشِدَّةٍ حَتَّى إِنَّهُمَا اتَّفَقَتَا عَلَى التَّدَرُّبِ عَلَى السَّيْرِ كُلَّ يَوْمٍ. مَعَ كُلِّ يَوْمٍ كَانَ الْأَمْرُ يَزْدَادُ سُهُولَةً وَتَتَمَكَّنُ كلارا مِنَ الْمَشْيِ لِمَسَافَةٍ أَطْوَلَ. مَرَّ أُسْبُوعٌ آخَرُ وَأَخِيرًا جَاءَ الْيَوْمُ الَّذِي سَتَأْتِي فِيهِ الْجَدَّةُ لِأَعْلَى الْجَبَلِ مِنْ أَجْلِ زِيَارَةٍ ثَانِيَةٍ. وَكَانَ فِي انْتِظَارِ السَّيِّدَةِ الْعَجُوزِ مُفَاجَأَةٌ جَمِيلَةٌ. مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهَا سَتَكُونُ سَعِيدَةً جِدًّا عِنْدَمَا تَرَى كلارا تَمْشِي لِلْمَرَّةِ الْأُولَى. خَطَّطَتِ الْفَتَاتَانِ لِأَنْ تَجْلِسَا عَلَى الْمَقْعَدِ خَارِجَ الْكُوخِ. سَتَنْتَظِرَانِ الْجَدَّةَ لِتَكُونَ قَرِيبَةً بِمَا يَكْفِي لِتَسْتَطِيعَا رُؤْيَةَ وَجْهِهَا ثُمَّ تُرِيَانِهَا مُفَاجَأَتَهُمَا.

الفصل التاسع عشر

الْوَدَاعَ حَتَّى نَلْتَقِيَ مُجَدَّدًا

قَالَتِ الْجَدَّةُ وَهِيَ تَقْتَرِبُ مِنَ الْكُوخِ: «هَلْ هَذِهِ أَنْتِ حَقًّا يَا طِفْلَتِي الْعَزِيزَةَ؟ لَقَدْ أَصْبَحَتْ وَجْنَتَاكِ مُمْتَلِئَتَيْنِ وَوَرْدِيَّتَيْنِ! هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ أَنْتِ حَقًّا يَا كلارا؟»

لَقَدْ رَكَضَتِ الْجَدَّةُ تَقْرِيبًا نَحْوَ الْفَتَاتَيْنِ الْجَالِسَتَيْنِ عَلَى الْمَقْعَدِ.

– «لِمَاذَا لَسْتِ عَلَى كُرْسِيِّكِ يَا كلارا؟ يُمْكِنُ أَنْ تَقَعِي مِنْ عَلَى ذَلِك ...»

نَظَرَتْ هايدي وَكلارا إِلَى بَعْضِهِمَا الْبَعْضِ ثُمَّ وَقَفَتَا مِنْ عَلَى الْمَقْعَدِ. بَدَأَتِ الطِّفْلَتَانِ فِي السَّيْرِ نَحْوَ السَّيِّدَةِ الْمُنْدَهِشَةِ.

«كلارا! حَبِيبَتِي كلارا! أَنْتِ تَمْشِينَ!» جَرَتِ الْجَدَّةُ فِي اتِّجَاهِ الْفَتَاتَيْنِ وَهِيَ تَضْحَكُ وَتَبْكِي، عَانَقَتْ كلارا أَوَّلًا ثُمَّ هايدي. وَفَجْأَةً لَمَحَتِ الْجَدَّ يَقِفُ بِجَانِبِ الْكُرْسِيِّ. رَكَضَتْ نَحْوَهُ وَعَانَقَتِ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ الْعَزِيزَ.

– «هُنَاكَ الْكَثِيرُ لِأَشْكُرَكَ عَلَيْهِ! كُلُّ هَذَا مِنْ فِعْلِكَ أَنْتَ! لَقَدْ حَدَثَ بِسَبَبِ عِنَايَتِكَ.»

أَضَافَ مُبْتَسِمًا: «وَشَمْسِ اللهِ الْمُشْرِقَةِ وَهَوَاءِ الْجَبَلِ.»

شَرَحَتْ كلارا كَيْفَ عَمِلَ الْجَدُّ مَعَهَا فِي الْأَسَابِيعِ السَّابِقَةِ. كَمَا وَصَفَتْ كَيْفَ قَضَتْ هايدي كُلَّ دَقِيقَةٍ مِنْ يَوْمِهَا تَبْحَثُ عَنْ أَشْيَاءَ تَفْعَلَانِهَا. كَانَتْ كلارا تَقْضِي أَسْعَدَ أَيَّامِ حَيَاتِهَا.

لَمْ تُصَدِّقِ الْجَدَّةُ التَّغَيُّرَاتِ الَّتِي حَدَثَتْ. كَانُوا لَا يَزَالُونَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْهَا عِنْدَمَا رَأَوْا شَخْصًا يَصْعَدُ التَّلَّةَ. لَمْ تُمَيِّزْ كلارا مَنْ هُوَ حَتَّى اقْتَرَبَ.

صَاحَتْ وَهِيَ مُنْدَهِشَةٌ لِرُؤْيَتِهِ: «أَبِي!»

تَوَقَّفَ السَّيِّدُ سيسمان فَجْأَةً وَهُوَ يُحَدِّقُ إِلَى الطِّفْلَتَيْنِ أَمَامَهُ. فَجْأَةً امْتَلَأَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ. كَمْ مِنَ الذِّكْرَيَاتِ تَجَدَّدَتْ فِي قَلْبِهِ. فَقَدْ كَانَ يَرَى فِي وَجْهِ كلارا وَجْهَ الْمَرْأَةِ الَّتِي تَزَوَّجَهَا. لَطَالَمَا كَانَتْ كلارا نَحِيفَةً جِدًّا، وَلَكِنَّهَا الْآنَ بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ وَتَبْدُو تَمَامًا مِثْلَ أُمِّهَا. لَمْ يَعْرِفِ السَّيِّدُ سيسمان هَلْ هُوَ مُسْتَيْقِظٌ أَمْ أَنَّهُ يَحْلُمُ.

نَادَتْهُ كلارا: «أَلَا تَعْرِفُنِي يَا أَبِي؟ هَلْ تَغَيَّرْتُ كَثِيرًا مُنْذُ آخِرِ مَرَّةٍ رَأَيْتَنِي؟» كَانَتْ تَشْعُرُ بِسَعَادَةٍ بَالِغَةٍ.

رَكَضَ السَّيِّدُ سيسمان نَحْوَ طِفْلَتِهِ وَضَمَّهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ.

– «نَعَمْ، لَقَدْ تَغَيَّرْتِ بِالْفِعْلِ! كَيْفَ يُمْكِنُ ذَلِكَ؟ هَلْ مَا أَرَاهُ حَقِيقِيٌّ؟» خَطَا الْأَبُ السَّعِيدُ خُطْوَةً إِلَى الْوَرَاءِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا مُجَدَّدًا. تَمَنَّى أَلَّا يَخْتَفِيَ مَنْظَرُهَا مِنْ أَمَامِ عَيْنَيْهِ.

ظَلَّ يَقُولُ: «هَلْ أَنْتِ ابْنَتِي الصَّغِيرَةُ كلارا؟ حَقًّا أَنْتِ صَغِيرَتِي كلارا؟» جَاءَتِ الْجَدَّةُ الْآنَ، مُتَشَوِّقَةً لِرُؤْيَةِ ابْنِهَا: «لَقَدْ فَاجَأْتَنَا بِمَجِيئِكَ إِلَى هُنَا، وَلَكِنْ أَظُنُّ أَنَّنَا أَعْطَيْنَاكَ مُفَاجَأَةً أَفْضَلَ.»

أَخْبَرَهُمُ السَّيِّدُ سيسمان أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَجِدَ أَنَّ وَالِدَتَهُ وَكلارا قَدْ رَحَلَتَا لِزِيَارَةِ الْجَبَلِ، فَظَنَّ أَنَّهَا سَتَكُونُ فِكْرَةً رَائِعَةً أَنْ يَنْضَمَّ لَهُمَا. قَابَلَ بيتر فِي طَرِيقِهِ، وَقَدْ أَحْضَرَهُ الصَّبِيُّ إِلَى أَعْلَى الْجَبَلِ. كَمْ كَانَ سَعِيدًا لِوُجُودِهِ هُنَاكَ. كَانَ هَذَا وَاحِدًا مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِ حَيَاتِهِ. فَقَدْ كَانَتْ فَتَاتُهُ الصَّغِيرَةُ تَمْشِي!

جَلَبَ مَا تَبَقَّى مِنْ فَتْرَةِ مَا بَعْدَ الظُّهْرِ سَعَادَةً غَامِرَةً لِلْجَمِيعِ. أَرَادَتْ كلارا وَعَائِلَتُهَا التَّعْبِيرَ عَنْ شُكْرِهِمْ عَلَى كُلِّ الطِّيبَةِ الَّتِي تَلَقَّوْهَا.

قَالَتِ الْجَدَّةُ: «بيتر، لَقَدْ شَارَكْنَاكَ فِي هايدي لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ.» كَانَ بيتر قَدْ شَعَرَ بِالْخَجَلِ فِي وَقْتٍ سَابِقٍ وَأَخْبَرَ الْجَدَّ وَالْجَدَّةَ بِأَمْرِ الْكُرْسِيِّ. وَعِنْدَمَا شَرَحَ كَمْ كَانَ يَشْعُرُ بِالْوَحْدَةِ، سَامَحَاهُ عَلَى الْفَوْرِ. فَرَغْمَ كُلِّ شَيْءٍ، هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ لَمْ تَكُنْ لِتَحْدُثَ إِذَا ظَلَّ الْكُرْسِيُّ لَدَى كلارا.

قَالَتِ الْجَدَّةُ لِلصَّبِيِّ: «إِنَّكَ بِحَاجَةٍ لِشَيْءٍ لَطِيفٍ لِتَتَذَكَّرَنَا بِهِ. وَأَنَا أَعْرِفُ هَذَا الشَّيْءَ. سَنُخَصِّصُ لَكَ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ لِتَصْرِفَهُ كُلَّ أُسْبُوعٍ.»

سَأَلَ الصَّبِيُّ بِسُرْعَةٍ: «لِبَقِيَّةِ حَيَاتِي؟»

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ: «أَجَلْ، لِبَقِيَّةِ حَيَاتِكَ.» أَوْمَأَ السَّيِّدُ سيسمان بِرَأْسِهِ تَعْبِيرًا عَنِ الْمُوَافَقَةِ وَصَافَحَ الصَّبِيَّ. رَكَضَ بيتر مُنْصَرِفًا وَهُوَ يَقْفِزُ فَرَحًا.

قَالَ السَّيِّدُ سيسمان لِلْجَدِّ: «وَالْآنَ يَا صَدِيقِيَ الْعَزِيزَ. لَقَدْ أَعْطَيْتَنَا هَدِيَّةً أَكْبَرَ بِكَثِيرٍ مِمَّا يُمْكِنُنَا رَدُّهُ. مِنَ الْمُؤَكَّدِ يُوجَدُ شَيْءٌ يُمْكِنُنَا فِعْلُهُ مِنْ أَجْلِكَ؟»

فَكَّرَ الْجَدُّ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ: «أَنَا أَتَقَدَّمُ فِي الْعُمُرِ. وَلَا بُدَّ أَنَّنِي سَأَرْحَلُ بَعْدَ وَقْتٍ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ. أَحْتَاجُ لِلاطْمِئْنَانِ عَلَى وُجُودِ مَنْ يَرْعَى هايدي بَعْدَ رَحِيلِي.»

أَجَابَ السَّيِّدُ سيسمان: «لَا تَجْعَلْ هَذَا يَشْغَلُ تَفْكِيرَكَ حَتَّى يَا صَدِيقِي. أَنَا أَعْتَبِرُ الطِّفْلَةَ كَطِفْلَتِي. لَنْ نَسْمَحَ بِأَنْ تَكُونَ تَحْتَ رِعَايَةِ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ.» ابْتَسَمَ الْجَدُّ ابْتِسَامَةَ عِرْفَانٍ بِالْجَمِيلِ.

سَأَلَتِ الْجَدَّةُ: «وَمَاذَا عَنْكِ يَا هايدي؟ هَلْ هُنَاكَ مَا تَتَمَنَّيْنَهُ؟»

فَكَّرَتْ هايدي لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ قَبْلَ أَنْ تُجِيبَ بِحَزْمٍ: «أَجَلْ، أُرِيدُ أَنْ يَتِمَّ إِرْسَالُ فِرَاشِي مِنْ فرانكفورت لِلْجَدَّةِ. بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ لَنْ تُضْطَرَّ أَنْ تُطَأْطِئَ رَأْسَهَا وَسَتَظَلُّ دَافِئَةً بِمَا يَكْفِي حَتَّى فِي أَكْثَرِ اللَّيَالِي بُرُودَةً.»

قَالَتِ الْجَدَّةُ وَهِيَ تُعَانِقُهَا: «كَمْ هُوَ جَمِيلٌ أَنَّكِ تُفَكِّرِينَ فِي الْآخَرِينَ! بِالطَّبْعِ يُمْكِنُنَا فِعْلُ ذَلِك. وَأُرِيدُ أَيْضًا أَنْ أُقَابِلَ هَذِهِ الْجَدَّةَ الرَّائِعَةَ.»

جَلَبَتْ زِيَارَةُ الْجَدَّةِ سَعَادَةً بَالِغَةً لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ الْعَجُوزِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ تَتَخَيَّلُ هايدي. فَقَدْ كَانَتْ مَعْرِفَةُ أَنَّ هايدي لَنْ تَتْرُكَهَا مُجَدَّدًا وَحْدَهَا أَمْرًا رَائِعًا بِمَا يَكْفِي. أَمَّا مَعْرِفَةُ أَنَّ هايدي لَدَيْهَا أَصْدِقَاءُ يَكْتَرِثُونَ لِأَمْرِهَا بِحَقٍّ فَقَدْ جَلَبَتْ دِفْئًا لَا يَنْتَهِي لِقَلْبِهَا.

فِي الصَّبَاحِ التَّالِي كَانَ عَلَى كلارا أَنْ تُوَدِّعَ الْجَبَلَ الْجَمِيلَ. وَلَكِنَّ الصَّيْفَ سَيَأْتِي مُجَدَّدًا وَبِحُلُولِ ذَلِك سَتَكُونُ كلارا تَسِيرُ عَلَى نَحْوٍ أَفْضَلَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى، وَسَتَكُونُ زِيَارَتُهَا الْقَادِمَةُ لِلْجَبَلِ أَفْضَلَ بِكَثِيرٍ.

رَكَضَتْ هايدي حَتَّى طَرَفِ الْمُنْحَدَرِ وَلَوَّحَتْ بِيَدِهَا لِكلارا حَتَّى اخْتَفَتْ آخِرُ لَمْحَةٍ مِنَ الْفَتَاةِ.

وَصَلَ الْفِرَاشُ مِنْ فرانكفورت بَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ. وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ مُنْذُ سَنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ، نَامَتِ الْجَدَّةُ نَوْمًا هَنِيئًا. اسْتَمَرَّتْ فِي النَّوْمِ عَلَى الْفِرَاشِ وَغَدَتْ أَقْوَى مَعَ كُلِّ يَوْمٍ يَمُرُّ. جَلَسَ بيتر

وَهايدي بِجَانِبِ الْجَدَّةِ وَأَخْبَرَاهَا قَصَصًا مِنْ قَصَصِ الصَّيْفِ. كَمَا وَصَفَا لَهَا جَمَالَ جَانِبِ الْجَبَلِ فِي الرَّبِيعِ، حَيْثُ لَا يُوجَدُ مَكَانٌ أَفْضَلُ مِنْهُ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ.

عَادَ الطَّبِيبُ إِلَى الْبَلْدَةِ، هَذِهِ الْمَرَّةَ لِلْبَقَاءِ. أَصْلَحَ مَنْزِلًا قَدِيمًا فِي دورفلي وَعَاشَ هُنَاكَ مَعَ هايدي وَالْجَدِّ. وَكَانَ فِي الْمَنْزِلِ حَظِيرَةٌ دَافِئَةٌ فِي الْخَلْفِ لِلْمَاعِزَيْنِ لِيَقْضِيَا شُهُورَ الشِّتَاءِ فِي رَاحَةٍ.

أَمَّا الْفَتَاةِ الَّتِي جَاءَتْ إِلَى الْجَبَلِ مُنْذُ عِدَّةِ أَعْوَامٍ، فَقَدْ أَقْسَمَتْ أَلَّا تَتْرُكَ جَمَالَهُ الرَّائِعَ أَبَدًا. كَانَ لَدَى هايدي كُلُّ السَّعَادَةِ الَّتِي تَحْتَاجُهَا هُنَاكَ عَلَى الْجَبَلِ. لَقَدْ أَعْطَاهَا الْجَدُّ أَكْثَرَ مِنْ مُجَرَّدِ مَنْزِلٍ عِنْدَمَا اسْتَضَافَهَا. لَقَدْ أَعْطَاهَا حَيَاةً مَلِيئَةً بِالْحُبِّ وَالدِّفْءِ وَالرِّعَايَةِ. وَكَانَتِ الْآنَ سَعَادَتُهَا فِي مُشَارَكَةِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَعَ الْآخَرِينَ. فَهِيَ تَعْلَمُ الْآنَ فِي أَعْمَاقِ قَلْبِهَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَيَكُونُ عَلَى مَا يُرَامُ فِي النِّهَايَةِ.


هنداوي